سلسلة

تدبر
القرآن الكريم

سورة الفيل

جمع وترتيب

عبد الله عوض محمد الحسن

المقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أمابعد..

ضمن سلسلة تدبر القرآن الكريم، نقف اليوم مع سورة عظيمة مبينة لقدرة الله وعظمته، وأنه الواحد المعبود لاشريك له، الحي القادر على كل شيء، مبينا ضعف المخلوق وعبوديته القهرية مهما كبر حجمه أو عظم سلطانه، فلنتدبر هذه السورة الكريمة سورة الفيل، والله الموفق والمعين وهو الهادي إلى سواء السبيل..

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ
كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾
تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

التعريف بالسورة

♤ أسماؤها

سميت في المصاحف بسورة الفيل، وتسمى ايضا عند السلف بسورة (ألم تر) .

♤ معنى إسمها

الفيل: هو الحيوان معروف، والمراد هنا: فيل أبرهة قائد الجيش، وذلك لتعريفه باللام، واسمه: محمود.

♤ سبب تسميتها

نسبة إلى قصة أصحاب الفيل، عندما حاول أبرهة هدم الكعبة، ولأن الفيل أقوى وسيلة لهدم الكعبة في ذلك الوقت، فسميت به.

♤ نزولها

مكية النزول

♤ عددها

ستة وتسعون حرفا، وعشرون كلمة، وخمس آيات.

♤ تعدادها

عدت التاسعة عشرة في ترتيب نزول السور. نزلت بعد سورة (قل يا أيها الكافرون) وقبل (سورة الفلق) . وقيل: قبل (سورة قريش).

♤ سبب نزولها

لم تصح رواية في سبب نزولها أو في بعض آياتها.

* لايصح ماذكره الإمام الواحدي وغيره من أن السورة نزلت في قصة أصحاب الفيل؛ لأن الحادثة وقعت قبل ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم.

البطاقات لياسر راضي (بتصرف)

♤ فضلها

من النظائر التي تعلمها الصحابة رضي الله عنهم ، فعن معرور بن سويد الاسدي قال: وافَيتُ المَوسِمَ مع أميرِ المؤمنينَ عُمَرَ بنِ الخطّابِ رَضيَ اللّهُ عنه، فلمّا انصرَفَ إلى المَدينةِ انصرَفتُ معه، فصَلّى لنا صَلاةَ الغَداةِ، فقَرَأَ فيها: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ﴾ و ﴿لِإِيلافِ قُرَيْشٍ﴾.

رواه الطحاوي وإسناده صحيح

♤ مناسبة السورة مع سورة الهمزة

لما قدم في الهمزة أن كثرة الأموال المسببة بالقوة بالرجال ربما أعقبت الوبال، دل عليه في هذه بدليل شهودي.

نظم الدرر للبقاعي

♤ مقصدها

إظهار قدرة الله تعالى في حماية بيته الحرام، وتدمير أعدائه مهما بلغت قوتهم.

بيان غريب الألفاظ

﴿ألَمْ تر ﴾: ألم تعلم.

﴿ بأصْحب ٱلْفيل ﴾: أبرهة الحبشي وجيشه الذين أرادوا تدمير الكعبة.

﴿ كيْدهمْ ﴾: ما دبروه من شر.

والكيد: هو الاحتيال على إلحاق ضرر بالغير.

﴿ في تضْليلٍ ﴾: في إبطال وتضييع؟.

والتضليل: جعل الغير ضالا، أي: لا يهتدي لمراده، وهو هنا مجاز في الإبطال وعدم نوال المقصود؛ لأن ضلال الطريق عدم وصول السائر.

﴿ طيرا﴾ : أشبه بالخطاطيف، أو الوطواط.

﴿ أبابيل ﴾: جماعات متتابعة.

﴿ ترْميهم ﴾: تقذفهم.

﴿ سجيلٍ ﴾: طين متحجر.

﴿ كعصْفٍ مأْكولٍ ﴾: كأوراق الزرع اليابسة التي أكلتها البهائم ثم رمت بها.

التفسير الإجمالي للسورة

ألم تعلم -أيها الرسول- كيف فعل ربك بأصحاب الفيل: أبرهة الحبشي وجيشه الذين أرادوا تدمير الكعبة المباركة، ألم يجعل ما دبروه من شر في إبطال وتضييع؟ وبعث عليهم طيرا في جماعات متتابعة تقذفهم بحجارة من طين متحجر، فجعلهم به محطمين كأوراق الزرع اليابسة التي أكلتها البهائم ثم رمت بها.

التفسير الميسر

آثار متعلق بالسورة

◇ في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: "إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب"

◇ أن رسول الله ﷺ لما أطل يوم الحديبية على الثنية التي تهبط به على قريش، بركت ناقته، فزجروها فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، أي: حرنت. فقال رسول الله ﷺ: "ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل" ثم قال: "والذي نفسي بيده، لا يسألوني اليوم خطة يعظمون فيها حرمات الله، إلا أجبتهم إليها". ثم زجرها فقامت. والحديث من أفراد البخاري.

تفسير ابن كثير

◇ عن عبد الله بن عباس، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الفِيلِ﴾ قال: أقبل أصحاب الفيل يريدون مكة، ورأسهم أبو يكسوم الحبشي، حتى أتوا المُغَمِّس أتتْهم طير؛ في منقار كلّ طير حجر، وفي رجليه حجران، فرمتْهم بها، فذلك قوله: ﴿وأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أبابِيلَ﴾ يقول: يتبع بعضها بعضًا، ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِن سِجِّيلٍ﴾ يقول: مِن طين. قال: وكانت من جَزْع ظَفار، مثل بعْر الغنم، فرمتْهم بها، ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ وهو ورق الزرع البالي المأكول. يقول: خرقتْهم الحجارة كما يُخرق ورق الزرع البالي المأكول. قال: وكان إقبال هؤلاء إلى مكة قبل أن يُولَد النبيُّ ﷺ بثلاث وعشرين سنة.

موسوعة التفسير بالمأثور

◇ قال الطبري: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾.

أقبل أبرهة الأشرم من الحبشة يوما ومن معه من عداد أهل اليمن، إلى بيت الله ليهدمه من أجل بيعة لهم أصابها العرب بأرض اليمن، فأقبلوا بفيلهم، حتى إذا كانوا بالصفاح برك؛ فكانوا إذا وجهوه إلى بيت الله ألقى بجرانه على الأرض، وإذا وجهوه إلى بلدهم انطلق وله هرولة، حتى إذا كان بنخلة اليمانية بعث الله عليهم طيرا بيضا أبابيل.

والأبابيل: الكثيرة، مع كل طير ثلاثة أحجار: حجران في رجليه، وحجر في منقاره، فجعلت ترميهم بها حتى جعلهم الله عز وجل كعصف مأكول.

قال: فنجا أبو يكسوم وهو أبرهة، فجعل كلما قدم أرضا تساقط بعض لحمه، حتى أتى قومه، فأخبرهم الخبر ثم هلك.

جامع البيان عن تأويل اي القرآن للطبري

◇ عن عبد الله بن عباس -من طريق عكرمة- قال: جاء أصحاب الفيل حتى نزلوا الصِّفاح، فأتاهم عبد المُطَّلِب، فقال: إنّ هذا بيتٌ لم يُسلِّط اللّهُ عليه أحدًا. قالوا: لا نرجع حتى نهدمه. وكانوا لا يُقدِّمون فيلهم إلا تأخّر، فدعا الله الطيرَ الأبابيل، فأعطاها حجارة سودًا عليها الطين، فلما حاذتْ بهم صفَّتْ عليهم، ثم رمتْهم فما بقي منهم أحد إلا أصابته الحكّة، وكانوا لا يحكّ إنسان منهم جلده إلا تساقط لحمه.

رواه البيهقي_ موسوعة التفسير بالمأثور

◇ أخرج البيهقي عن محمد بن جبير بن مطعم قال: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل وكانت عكاظ بعد الفيل بخمس عشرة سنة وبني البيت على رأس خمس وعشرين سنة من الفيل وتنبأ رسول الله ﷺ على رأس أربعين من الفيل.

الدر المنثور للسيوطي

تأملات السورة

☆ لم يتكرر في القرآن ذكر إهلاك أصحاب الفيل خلافا لقصص غيرهم من الأمم لوجهين:

أحدهما: أن هلاك أصحاب الفيل لم يكن لأجل تكذيب رسول من الله.

وثانيهما: أن لا يتخذ منه المشركون غرورا بمكانة لهم عند الله كغرورهم بقولهم المحكي في قوله تعالى: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر﴾ الآية، وقوله: ﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون﴾ الآية .

التحرير والتنوير لابن عاشور

☆ كانت قصة أصحاب الفيل من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم -يا معشر قريش-على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد، صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير

☆ الرؤية يجوز أن تكون مجازية مستعارة للعلم البالغ من اليقين حد الأمر المرئي لتواتر ما فعل الله بأصحاب الفيل بين أهل مكة وبقاء بعض آثار ذلك يشاهدونه.

وقال أبو صالح: رأيت في بيت أم هانئ بنت أبي طالب نحوا من قفيزين من تلك الحجارة سودا مخططة بحمرة... ويجوز أن تكون الرؤية بصرية بالنسب لمن تجاوز سنه نيفا وخمسين سنة عند نزول الآية ممن شهد حادث الفيل غلاما أو فتى مثل أبي قحافة وأبي طالب وأبي بن خلف.

التحرير والتنوير لابن عاشور

☆ إيثار (كيف) دون غيره من أسماء الاستفهام أو الموصول فلم يقل: ألم تر ما فعل ربك، أو الذي فعل ربك، للدلالة على حالة عجيبة يستحضرها من يعلم تفصيل القصة.

التحرير والتنوير لابن عاشور

☆ جيء في تعريف الله سبحانه بوصف (رب) مضافا إلى ضمير النبيء ﷺ ؛ إيماء إلى أن المقصود من التذكير بهذه القصة تكريم النبيء ﷺ إرهاصا لنبوته، إذ كان ذلك عام مولده.

التحرير والتنوير لابن عاشور

☆ قوله: ﴿بأصحاب الفيل﴾ يدل على أن أولئك الأقوام كانوا من جنس الفيل في البهيمية وعدم الفهم والعقل، بل فيه دقيقة، وهي: أنه إذا حصلت المصاحبة بين شخصين، فيقال للأدون: إنه صاحب الأعلى، ولا يقال للأعلى: إنه صاحب الأدون، ولذلك يقال لمن صحب الرسول عليه السلام: إنهم الصحابة، فقوله: ﴿بأصحاب الفيل﴾ يدل على أن أولئك الأقوام كانوا أقل حالا وأدون منزلة من الفيل، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿بل هم أضل﴾ ومما يؤكد ذلك أنهم كلما وجهوا الفيل إلى جهة الكعبة كان يتحول عنه ويفر عنه، كأنه كان يقول: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عزمي حميد فلا أتركه وهم ما كانوا يتركون تلك العزيمة الردية فدل ذلك على أن الفيل كان أحسن حالا منهم.

التفسير الكبير للفخر الرازي

☆ الحجارة التي أرسلت على أصحاب الفيل من جنس الحجارة التي أمطرت على قوم لوط، أي: ليست حجرا صخريا ولكنها طين متحجر دلالة على أنها مخلوقة لعذابهم.

التحرير والتنوير لابن عاشور

☆ العصف إذا دخلته البهائم فأكلته داسته بأرجلها وأكلت أطرافه وطرحته على الأرض بعد أن كان أخضر يانعا. وهذا تمثيل لحال أصحاب الفيل بعد تلك النضرة والقوة كيف صاروا متساقطين على الأرض هالكين.

التحرير والتنوير لابن عاشور

☆ اعلم أن قصة الفيل واقعة على الملحدين جدا، لأنهم ذكروا في الزلازل والرياح والصواعق وسائر الأشياء التي عذب الله تعالى بها الأمم أعذارا ضعيفة، أما هذه الواقعة فلا تجري فيها تلك الأعذار، لأنها ليس في شيء من الطبائع والحيل أن يقبل طير معها حجارة، فتقصد قوما دون قوم فتقتلهم، ولا يمكن أن يقال: إنه كسائر الأحاديث الضعيفة لأنه لم يكن بين عام الفيل ومبعث الرسول إلا نيف وأربعون سنة، ويوم تلا الرسول هذه السورة كان قد بقي بمكة جمع شاهدوا تلك الواقعة، ولو كان النقل ضعيفا لشافهوه بالتكذيب، فلما لم يكن كذلك علمنا أنه لا سبب للطعن فيه.

التفسير الكبير للفخر الرازي

☆ في آخر الزمان فإن أهل البيت إذا أهانوه وأرادوا بإلحاد فيه بظلم ولم يعرفوا قدره، حينئذ يسلط الله عليه من يهدمه حتى لا يبقى على وجه الأرض، ولهذا يجب على أهل مكة خاصة أن يحترزوا من المعاصي والذنوب والكبائر لئلا يهينوا الكعبة فيذلهم الله عز وجل.

تفسير جزء عم لابن عثيمين

☆ هذه القصة تدل على كرامة الله للكعبة، وفيها عجائب وغرائب من قدرة الله على الانتقام من أعدائه بأضعف جنوده وهي الطير التي ليست من عاداتها أن تقتل.

تفسير القرآن العظيم لعبدالملك بن قاسم

الوحدة الموضوعية للسورة

تأتي سورة الفيل وكأنها امتداد لسورة الهمزة، إذ إنها تلفت النظر إلى حادثة مشهورة معروفة عذب الله بها قوما في الدنيا، وذلك يأتي كالدليل على قدرته أن يعذب الكافرين يوم القيامة، ومحور سورة الفيل هو محور سورة الهمزة نفسه وهو قوله تعالى: [إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون* ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم.]

إنك لو وضعت بعد هاتين الآيتين قوله تعالى: [ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ..] لوجدت المعنى منسجما، فالدليل على أن الله سيعذب الكافرين عذابا عظيما ما فعله بهؤلاء الكافرين الذين أرادوا أن يكيدوا لبيت الله، هذا عذابهم في الدنيا فكيف بعذابهم يوم القيامة.

فعلم من هذا أن وحدة موضوع السورة هو:

عقوبة المحارب لله وشريعته.

فوائد الآيات

١- تسلية رسول الله ﷺ عما يلاقيه من ظلم كفار قريش.
٢- تذكير قريش بفعل الله عز وجل تخويفا لهم وترهيبا.
٣- مظاهر قدرة الله تعالى في تدبيره لخلقه وبطشه بأعدائه.

أيسر التفاسير للجزائري

المسائل

السؤال: لم قال: (ألم تر) مع أن هذه الواقعة وقعت قبل المبعث بزمان طويل ؟

الجواب: المراد من الرؤية العلم والتذكير، وهو إشارة إلى أن الخبر به متواتر فكان العلم الحاصل به ضروريا مساويا في القوة والجلاء للرؤية، ولهذا السبب قال لغيره على سبيل الذم: ﴿ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ [يس: ٣١] لا يقال: فلم قال: ﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ [البقرة: ١٠٦] لأنا نقول: الفرق أن ما لا يتصور إدراكه لا يستعمل فيه إلا العلم لكونه قادرا، وأما الذي يتصور إدراكه كفرار الفيل، فإنه يجوز أن يستعمل فيه الرؤية.

التفسير الكبير للفخر الرازي

السؤال: لم قال: ﴿ألم تر كيف فعل ربك﴾ ولم يقل: ألم تر ما فعل ربك ؟

الجواب: لأن الأشياء لها ذوات، ولها كيفيات باعتبارها يدل على مداومتها، وهذه الكيفية هي التي يسميها المتكلمون وجه الدليل، واستحقاق المدح إنما يحصل برؤية هذه الكيفيات لا برؤية الذوات ولهذا قال: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها﴾ [ق: ٦].

التفسير الكبير للفخر الرازي

والحمدلله رب العالمين

المراجع

- جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير
- التحرير والتنوير لابن عاشور
- التفسير الكبير للفخر الرازي
- الدر المنثور للسيوطي.
- نظم الدرر للبقاعي
- تفسير جزء عم لابن عثيمين.
- تفسير القرآن العظيم لعبدالملك بن قاسم
- موسوعة التفسير بالمأثور.
- التفسير الميسر لمجموعة من العلماء
- الميسر في غريب القرآن لمجموعة من الباحثين
- الوحدة الموضوعية في سور القرآن الكريم للكاتب
- البطاقات لياسر راضي

¤¤¤¤¤